

أم المؤمنين

صفية بنت حيى - رضى الله عنها

إعداد

د/ محمد عبد الرحمن الداخيل

الأستاذ المساعد بقسم السيرة والتاريخ

كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولى المتقين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قائد الغر المحجلين لجنات النعيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
فإن سير أمهات المؤمنين من أجل السير ، وأعلاها شأنًا ، وقد بين الله منزلتهن وأثنى عليهن وأوجب حبهن ، وعدم إيذاهن قال سبحانه : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم " (الآية -) ، وقال تعالى : " وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله " . (الآية -)
ومن قرأ شيئاً من سيرهن عرف مزيداً عنهن ، فازداد محبة لهن ، ونحن في هذا الزمن أحوج ما نكون في بيوتنا أن نتلى سير تلك النجوم الساطعة في تاريخ الأمة التي هي من خير القرون ، وأفضل الأمم .

وهذه مساهمة متواضعة عن أم المؤمنين صفية بنت حيى - رضى الله عنها - تجلية لبعض سيرتها ، وتقرباً لله بحبها ، وأملًا في اقتداء الأمة بسيرتها العطرة الجميلة .

وقد جاءت هذه الدراسة لتجلى كثيرا من الأمور التي تتعلق بالسيدة حفصة من حيث:

١- نسبها .

٢- زواجها الأول .

٣- سببها وإسلامها .

٤- زواجها بالنبي - صلى الله عليه وسلم - .

٥- صفاتها .

٦- فضائلها ومكانتها عند النبي - صلى الله عليه وسلم -

٧- الفوائد الفقهية المستفادة من قصة صفية - رضى الله عنها - .

قد اختصرت في هذا البحث ، واقتضت سيرتها وفضائلها ، فما كان فيه من صواب وخير فمن الله وحده ، وما كان فيه من تقصير فمن نفسى والشيطان ، والله أسأل أن ينفع به .

الباحث:

الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الدخيل

نسيها:

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضر بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط^(١) (٢) اللاوي بن نبي الله إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام^(٣).
وقيل: إن اسمها زينب قبل أن تسمى، فلما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم سميت صفية^(٤).

وأما برة بنت سموال أخت رفاعة بن سموال من بني قريظة إخوة النضير، وقيل من بني قينقاع^(٥).

زواجها الأول:

تزوجها قبل إسلامها سلام بن مشكم بن أبي الحقيق القرطي، ثم فارقها، فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، فقتل عنها يوم خيبر^(٦).

نسيها وإسلامها:

لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وافتتح حصونها، وكان منها حصن القموص — حصن بني الحقيق — كانت من سبيه، وقتل زوجها كنانة.

روى ابن سعد بسنده وبطرق متعددة، قال: ((لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وغنمه الله أموالهم سبى صفية بنت حيي وبنت عم لها من القموص، فأمر بلالا يذهب بهما إلى رحله...))^(٧).

وقيل: إنها وقعت في سهم دحية الكلبي^(٨)؛ أو أنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية.

(١) السبط: ولد الابن والابنة، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب. المعجم الوسيط ٤١٤/١

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٠/١، وفي الاستيعاب ٣٣٧/٤ والإصابة ٣٣٧/٤ أن جد أبيها سعة بن ثعلبة، وفي فتح الباري سعيه بن عامر.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٣١/٢، وانظر الطبقات ١٢١/٨.

(٤) أشار إلى ذلك ابن حجر في الفتح ٤٨٠/٧.

(٥) الطبقات ١٢٣/٨.

(٦) انظر: الطبقات ١٢١/٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣١/٢، والإصابة ٣٣٧/٤.

(٧) الطبقات الكبرى ١٢٠/٨-١٢١.

(٨) ينظر: تاريخ خليفة ١٠/١ / وسير أعلام النبلاء ٢٣١/٨.

صفاتنا :

كانت السيدة "صفية" شريفة عاقلة، ذات حسب، وجمال، ودين، وحلم. روي أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعث عمر رضي الله عنه إليها يسألها، فقالت رضي الله عنها: أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي بهم رجماً فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة^(٩).

وهذا الأثر دليل كبير على حلم صفية رضي الله عنها وأرضاها. والحلم من الصفات الحميدة التي أثنى الله ورسوله على أصحابه. قال عز من قائل في معرض حث ومدح من اتصف بهذه الصفة في محكم تنزيله: **وَالكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ آلَ عِمْرَانَ: ١٣٣ - ١٣٤** فوصف الله المتقين هنا بصفة الحلم حيث كان من شيمهم كظم الغيظ، والعفو عن الناس. ومما جاء في مدح الحلم من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم حين أثنى على أشج عبيد القيس فقال له: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْجَلْمُ وَالْأَنَاءُ**»^(١٠). ومن صفاتها الحميدة أنها كانت تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً عظيماً، وتجله وتقدره وتلتمس رضاه.

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في وجهها خضرة قريباً من عينها فقال: ((ما هذا؟ قالت: يا رسول الله، رأيت في المنام قمراً أقبل من يثرب حتى وقع في حجرني فذكرت ذلك لزوجي كنانة فقال: تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة؟ فضرب وجهي))^(١١). وفي رواية أن التي لطمتها أمها.

وأما شرفها رضي الله عنها وأرضاها فقد تقدمت الإشارة إليه في ذكر نسبها، وجاء في سنن الترمذي أن صفية رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلامٌ فذكرتُ له ذلك، فقال: ((ألا قلت: وكيف تكونان خيراً مني، وزوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى؟)).

وكان الذي بلغها أنهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، نحن أزواجه وبنات عمه^(١٢).

(٩) الاستيعاب ٣٣٩/٤، سير أعلام النبلاء ٢٣٢/٢، والإصابة ٣٣٩/٤.

(١٠) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، حديث رقم (١٢٧).

(١١) الطبقات الكبرى ١٢١/٨.

وروى الترمذي أيضاً بسند صحيح عن أس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ حفصة أن
حفصة قالت: بنت يهودي، فبكّت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال: ما
يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنك لابنة
نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال أتقي الله يا حفصة^(١٣).
فهذان الحديثان يدلان على شرف نسبها رضي الله عنها، وإن كان في الأول ضعف لكنه
يتقوى بالتأني، والله أعلم.

ومما جاء في صفاتها الخلقة: ما رواه عطاء بن يسار قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خيبر ومعه صفية، أنزلها. فسمع بجمالها نساء الأنصار، فجنن ينظرن إليها، وكانت
عائشة متعبة حتى دخلت، فعرفها. فلما خرجت، خرج، فقال: ((كيف رأيت؟)) قالت: رأيت
يهودية. قال: ((لا تقولي هذا، فإنها قد أسلمت فحسن إسلامها))^(١٤).

ومما ورد في هذا الباب من الصفات السخاء، روي عن ابن المسيب أنه قال: قدمت صفية
وفي أذنيها خرس من ذهب، فوهبت لفاطمة منه، ولسنا معها^(١٥).

زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم:

زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم ثابت في الصحيحين والسنن بتفاصيل:
في قصة فتح خيبر وحصولها، وأما كانت في حصن زوجها القموص، فلما فتح كانت ضمن
السي.

وفي روايات أيضاً أن دحية الكلبي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم جارية فقال له:
((خذ جارية. فأخذ صفية. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بمكانتها في قومها ومنزلتها
وجملها فاصطفاه لنفسه وعوض دحية جارية أخرى، وقيل أعطاه سبع جوار.

(١٣) أخرجه الترمذي في المناقب باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٣٨٩٢)، سنن الترمذي ٧٠٨/٥. قال أبو
عيسى: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي وليس إسناده بذلك القوي
قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد

(١٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٣٨٩٤)، سنن الترمذي ٧٠٩/٥. قال أبو
عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه
قال الشيخ الألباني: صحيح.

(١٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢٦/٨.

قال شعيب الأرنؤوط: وفيه على إرساله الواقدي

(١٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢٧/٨. (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٧/٢ حاشية رقم ٢).

قال شعيب الأرنؤوط: ورجالها ثقات، والخرصة: جمع غرض: وهو الحلقة الصغيرة من الذهب، وهو من حلي الأذن. (انظر:
سير أعلام النبلاء ٢٣٧/٢ حاشية رقم ٣).

وفي رواية أنها وقعت في سهم دحية فاشتراها الرسول صلى الله عليه وسلم بسبعة أروس.
واليك الروايات الواردة في هذا الشأن:

فمن أنس بن مالك - رضي الله عنه - : قال : «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خيبر. فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَيْشَ ذُكِرَ لَهُ جِهَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُصَيْنٍ بن أَخْطَب. وقد قُتِلَ زوجها. وكانت عروسا. فاصطفاه رسولُ الله- [٤١٤]- -صلى الله عليه وسلم- لنفسه. فخرج بها حتى بَلَغْنَا سَدَّ الرُّوحَاء. فَبَنَى بِهَا. ثُمَّ صَنَعَ خَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- : آذِنُ مِنْ حَوْلِكَ. فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةً رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلَى صَفِيَّة. ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُحَوِّي^(١٦) لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً. ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ. فَيَضَعُ رِكْبَتَهُ. فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رِكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ»^(١٧).

وفي رواية : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- صَلَّى الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ بِغَلَسٍ. ثُمَّ رَكِبَ. فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ. خَرِبَتْ خَيْبَرَ. إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ. فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السَّككِ. وَيَقُولُونَ : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ - قَالَ : وَالْخَمِيسُ : الْجَيْشُ - فَظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. فَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ. وَسَمِيَ الذَّرَارِيُّ. فَصَارَتْ صَفِيَّةُ لِلدِّخْيَةِ الْكَلْبِيِّ. وَصَارَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-. ثُمَّ تَزَوَّجَهَا. وَجَعَلَ عَتَقَهَا صَدَاقَهَا. فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ثَابِتٌ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. أَنْتَ سَأَلْتَ أَنْسًا مَا مَهْرُهَا ؟ قَالَ : أَمَهْرُهَا نَفْسُهَا. فَتَبَسَّمَ». زَادَ فِي رِوَايَةٍ : «فَحَرَّكَ ثَابِتٌ رَأْسَهُ. تَصَدِيقًا لَهُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ. وَمُسْلِمٌ^(١٨).
وللبخاري قال : «سَمَى النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- صَفِيَّةَ. فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا. فَقَالَ ثَابِتٌ لِأَنْسٍ : مَا أَصْدَقُهَا ؟ قَالَ: نَفْسَهَا فَأَعْتَقَهَا»^(١٩).

وفي أخرى له: «أَنَّ صَفِيَّةَ كَانَتْ فِي السَّيِّ. فَصَارَتْ إِلَى دِحْيَةَ. ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم»^(٢٠).

(١٦) الحوية: كساء يعمل حول سنام البعير ليركب عليه، وكذلك إن عمل على كفله ليردف الراكب وراءه أحداً يركب عليه ليتمكن من الركوب. (جامع الأصول ٤١٨/١١).

(١٧) أخرجه البخاري في الصيام، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها، رقم الحديث (٢١٢٠) صحيح البخاري ٧٧٨/٢.

(١٨) أخرجه البخاري في الصلاة باب التكبير بالغلس بالصبح والصلاة، برقم (٩٠٥) صحيح البخاري

٣٢١/١، ومسنم في باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها رقم (١٣٦٥) صحيح مسلم ١٠٤٢/٢.

(١٩) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر، برقم (٣٩٦٥) صحيح البخاري ١٥٣٩/٤.

(٢٠) أخرجه البخاري في البيوع باب بيع العبيد والحيوان بالحيوان، برقم (٢١١٥) صحيح البخاري ٧٧٦/٢.

وفي أخرى له : « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقام على صفية بنت حييَ بطريق خير ثلاثة أيام. حتى أغرس بها. وكانت فيمن ضرب عليها الحجاب »^(٢١).

زاد في رواية : « فأصبنا من لحوم الخُمُر. فنأدى منادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله يَتَهَيَّانِكم عن لحوم الحمر. فإِنما رَجَسَ ». ومنهم من قال عنه : « فإنه رجس. أو نَجَسَ ». وأن المنادي « كان أبو طلحة »^(٢٢).

وفي رواية لمسلم عن أنس : « كنت رِذْفَ أَبِي طَلْحَةَ يوم خير. وقَدِمَ تَمَسَّ قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - . قال : فاتينا حين بَزَغَتِ الشمس^(٢٣). وقد أخرجوا مواشيهم. وخرجوا بَقُوتِهم. ومكآتِلَهم^(٢٤). ومرورهم. فقالوا: هذا محمد. والحميس. قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : خربت خير. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. قال: وهزمهم الله. ووقعت في سهم دحية جارية جميلة. فاشترها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبعة أَرُوس. ثم دفعها إلى أم سُلَيْم تُصَنِّعُها وتُهَيِّئُها. قال: وأحسبه قال : وتعتد في بيتها. وهي صفية بنت حيي. قال : فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَلِيمَتِها التمر. والأفط. والسمن. فَحُصِّتَ^(٢٥) الأرض أفاحيص. وجيء بالأنطاع. فوضعت فيها. وجيء بالأفط والسمن. فشبع الناس. قال : وقال الناس : لا ندري : أتزوجها. أم اتخذها أم ولد ؟ فقالوا: إن حَجَّيْها فهي امرأته. وإن لم يَحْجَّيْها فهي أم ولد. فلما أراد أن يركب حَجَّيْها. فقعدت على عَجْزِ البعير. فعرفوا أنه قد تزوجها. فلما ذكروا من المدينة دفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودفعنا. قال : فعثرت الناقة العَضْبَاءُ^(٢٦). وَكَذَر^(٢٧) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وندرت. فقام فسترها. وقد أشرفت النساء. فقلن: أبعد الله اليهودية. قال: قلت: يا أبا حزة. أوقع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : إي والله لقد وقع. قال أنس: وشهدت وليمة زينب. فأشبع الناس خبزا ولحما. وكان يبعثني فأدعو الناس. فلما فرغ قام وتبعته. وتخلف رجلان استأنس بهما الحديث لم يخرجَا. قال: فجعل يمر على نسائه. فيسلم على كل واحدة منهم: سلام عليكم. كيف أنتم يا

(٢١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خير، برقم (٣٩٧٥) صحيح البخاري ١٥٤٣/٤.

(٢٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خير برقم (٣٩٦٢) صحيح البخاري ١٥٣٨/٤.

(٢٣) بزغت الشمس: أي طلعت. (جامع الأصول ٤١٩/١١).

(٢٤) مكآتل: جمع مكآل وهو الزنبيل. (جامع الأصول ٤١٩/١١).

(٢٥) فحُصِّت الأرض: كُشِفَتْ، وجعل فيها موضع، ومنه مخفص القطاة. (جامع الأصول ٤١٩/١١).

(٢٦) العَضْبَاء: اسم ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تكن عضباء، فإن العَضْب شق أذن الناقة، ولم تكن مشقوقة الأذن.

(جامع الأصول ٤١٩/١١).

(٢٧) نذر من ظهر الدابة: إذا سقط عنها بطة (جامع الأصول ٤١٩/١١).

أهل البيت ؟ فيقولون: بخير يا رسول الله. كيف وجدت أهلك ؟ فيقول: بخير. فلما فرغ رجع ورجعت معه. فلما بلغ الباب إذا هو بالرجلين قد استأنس بهما الحديث. فلما رآياه قد رجع قاما فخرجا. فوالله ما أدري : أنا أخبرته. أم أنزل عليه الوحي بأنهما قد خرجا ؟ فرجع ورجعت معه. فلما وضع رجله في أسكفة الباب أرخى الحجاب بيني وبينه. وأنزل الله عز وجل : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُذْنَ لَكُمْ ۖ ﴾^(٢٨) «^(٢٩).

وفي أخرى له قال : «صارت صفية لدحية في مَقْسَمِهِ. وجعلوا يمدحونها عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم-. ويقولون : ما رأينا في السبي مثلها. قال: فبعث إلى دحية. فأعطاه بما أراد. ثم دفعها إلى أمي. فقال: أصلحها. ثم خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خير. حتى إذا جعلها في ظهره نزل. ثم ضرب عليها القبة. فلما أصبح قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادَ فَلْيَأْتِنَا بِهِ. قال: فجعل الرجلُ يبيعُ بفضْلِ التمرِ وَفَضْلِ السُّوقِ. حتى جعلوا من ذلك سوادا خَيْسا. فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس. ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء.

قال: فقال أنس: فكانت تلك وليمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليها. قال: فانطلقنا حتى إذا رأينا جُدْرَ الْمَدِينَةِ هَشِشْنَا^(٣٠) إليها. ورقعنا مَطِيئًا. ورقع رسول الله مطيئته. قال : وصفية غلَّقه قد أردفها. قال : فعُثِرَتْ مطية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فَصُرِعَ^(٣١) وصُرِعَتْ. قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها. حتى قام رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فَسَتَرَهَا.

قال: فاتَّيَاه. فقال: لم نُصَرَّ. قال : فدخلنا المدينة. فخرج جوارى نسانه يتراءينها وَيَشْمَتْنَ بِصُرْعَتِهَا^(٣٢).

وأخرج أبو داود طَرَفًا من ذلك. قال : «صارت صفية لدحية الكلبي. ثم صارت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-»^(٣٣). وفي رواية قال : «وقع في سَهْمٍ دحية جارية جميلة. فاشترأها

^(٢٨) سورة الأحزاب آية (٥٣).

^(٢٩) أخرجه مسلم في باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، برقم (١٣٦٥، ١٤٢٨) صحيح مسلم ١/١٠٤٦، ١٠٤٦/٢.

^(٣٠) هَشِشْنَا للإمر: فرحنا به وسرورنا برؤيته. (جامع الأصول ١١/٤١٩).

^(٣١) صرع الرجل عن ظهر الدابة: إذا سقط عنها. (جامع الأصول ١١/٤١٩).

^(٣٢) أخرجه مسلم في باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، برقم (١٣٦٥) صحيح مسلم ٤/١٠٤٦.

^(٣٣) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب ما جاء في سهم الصفى، برقم (٢٩٩٦) سنن أبي داود ٢/١٦٨. وصححه الألباني.

رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بسبعة أرؤس. ثم دفعها إلى أم سليم تُصنّعها وتقيتها - قال حماد : وأحسبه قال : وتعتدّ في بيتها - وهي صفية بنت حيّ^(٣٤).

وأخرج النسائي الرواية الثانية من أفراد البخاري^(٣٥).

وله في أخرى قال: «أقام النبي -صلى الله عليه وسلم- بين خيبر والمدينة ثلاثاً يئني بصفية بنت حيّ. فدعوتُ المسلمين إلى وليمته. فما كان فيها من خبز ولا لحم. أمر بالأنطاع فألقى عليها من التمر والأقط والسمن. فكانت وليمته. فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين. أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حجبتها فهي من أمهات المؤمنين. وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأها خلفه. ومَدَّ الحجاب بينها وبين الناس»^(٣٦).

قال السهيلي لا معارضة بين هذه الأخبار؛ فإنه أخذها من دحية قبل القسم والذي عوضه عنها ليس على سبيل البيع؛ بل على سبيل الفضل^(٣٧).

وقال الحافظ ابن حجر: "الأولى في طريق الجمع أن المراد بسهمه هنا نصيبه الذي اختاره لنفسه؛ وذلك أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه جارية فأذن له أن يأخذ جارية، فأخذ صفية.

فلما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم أنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بما لأمكن تغيير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه، واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم، فإن في ذلك رضا للجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء»^(٣٨).

فضائلها ومكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم:

ورد في فضائل أم المؤمنين صفية ومكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم أخبار عدة، نذكر بعضها هنا:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت اليهود، فبكت، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال: ((ما يبكيك))؟ فقالت: قالت لي

^(٣٤) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ما جاء في سهم الصفی، برقم (٢٩٩٧) سنن أبي داود ١٦٨/٢.

^(٣٥) أخرجه النسائي في باب الزويج على العتق، برقم (٣٣٤٣) سنن النسائي ١١٤/٦.

وصححه الألباني.

^(٣٦) أخرجه النسائي في كتاب النكاح.. باب البناء في السفر برقم (٣٣٨٢)، سنن النسائي ١٣٤/٦.

^(٣٧) ينظر: فتح الباري ٢٩٤٦/٣.

^(٣٨) فتح الباري ٢٩٤٦/٣.

أهل البيت ؟ فيقولون: بخير يا رسول الله. كيف وُجِدَتْ أهلك ؟ فيقول: بخير. فلما فرغ رجع. ورجعتُ معه. فلما بلغ الباب إذا هو بالرجلين قد استأنس بهما الحديث. فلما رآياه قد رجع قاما فخرجا. فوالله ما أدري : أنا أخبرته. أم أنزل عليه الوحي بأنهما قد خرجا ؟ فرجع ورجعتُ معه. فلما وضع رجله في أسكفة الباب أرخى الحجاب بيني وبينه. وأنزل الله عز وجل : ﴿لَا تَدْخُلُوا

بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(٢٨) «(٢٩)».

وفي أخرى له قال : «صارت صفة لدحية في مقسميه. وجعلوا يمدحونها عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم-. ويقولون : ما رأينا في السبي مثله. قال: فبعث إلى دحية. فأعطاه بها ما أراد. ثم دفعها إلى أمي. فقال: أصلحها. ثم خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خير. حتى إذا جعلها في ظهره نزل. ثم ضرب عليها القبة. فلما أصبح قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مَنْ كَانَ عَنْده فَضْلٌ زَادَ فَلْيَأْتِنَا بِهِ. قال: فجعل الرجلُ يبيءُ بفضلِ التمرِ وَفَضْلِ السُّوقِ. حتى جعلوا من ذلك سوادا حَمِيسًا. فجعلوا يأكلون من ذلك الحِيسِ. ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء.

قال: فقال أنس: فكانت تلك وليمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليها. قال: فانطلقنا حتى إذا رأينا جذرَ المدينة هَشِيشًا^(٣٠) إليها. ورقعنا مطيئًا. ورقع رسول الله مطيئته. قال: وصفية خلفه قد أردفها. قال: ففُتِرَتْ مطية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فَصُرِعَ^(٣١) وصُرِعَتْ. قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها. حتى قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فَسَتَرَهَا.

قال: فأتيناها. فقال: لم نُضَرَّ. قال: فدخلنا المدينة. فخرج جوارى نساته يتراءينها وَيَشْمَنَّ بَصَرَعْتَهَا^(٣٢).

وأخرج أبو داود طرْفًا من ذلك. قال : «صارت صفة لدحية الكلبي. ثم صارت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-»^(٣٣). وفي رواية قال : «وقع في سهم دحية جارية جميلة. فاشتراها

(٢٨) سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٢٩) أخرجه مسلم في باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، برقم (١٣٦٥، ١٤٢٨) صحيح مسلم ١٠٤٢/٢، ١٠٤٦.

(٣٠) هَشِيشًا للإمر: لرحنا به وسرورنا برؤيته. (جامع الأصول ٤١٩/١١).

(٣١) صرع الرجل عن ظهر الدابة: إذا سقط عنها. (جامع الأصول ٤١٩/١١).

(٣٢) أخرجه مسلم في باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، برقم (١٣٦٥) صحيح مسلم ١٠٤٦/٤.

(٣٣) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب ما جاء في سهم الصفي، برقم (٢٩٩٦) سنن أبي داود ١٦٨/٢.

وصححه الألباني.

رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بسبعة أروُس. ثم دفعها إلى أم سليم تُصنعها وهيئها - قال حماد : وأحسبه قال : وتعتد في بيتها - وهي صفية بنت حُصَيٍّ^(٣٤).

وأخرج النسائي الرواية الثانية من أفراد البخاري^(٣٥).

وله في أخرى قال: «أقام النبي -صلى الله عليه وسلم- بين خيبر والمدينة ثلاثا يَنِي بصفية بنت حُصَيٍّ. فدعوتُ المسلمين إلى وليمته. فما كان فيها من خبز ولا لحم. أمر بالأنطاع فألقى عليها من التمر والأقطِ والسَّمْن. فكانت وليمته. فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين. أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حججها فهي من أمهات المؤمنين. وإن لم يحججها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه. ومَدَّ الحجاب بينها وبين الناس»^(٣٦).

قال السهيلي لا معارضة بين هذه الأخبار؛ فإنه أخذها من دحية قبل القسم والذي عوضه عنها ليس على سبيل البيع؛ بل على سبيل الفضل^(٣٧).

وقال الحافظ ابن حجر: "الأولى في طريق الجمع أن المراد بسهمه هنا نصيبه الذي اختاره لنفسه؛ وذلك أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه جارية فأذن له أن يأخذ جارية، فأخذ صفية.

فلما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم أنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بما لا يمكن تغيير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه، واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم، فإن في ذلك رضا للجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء"^(٣٨).

فضائلها ومكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم:

ورد في فضائل أم المؤمنين صفية ومكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم أخبار عدة، نذكر بعضها هنا:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت اليهود، فبكت، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال: ((ما يبكيك))؟ فقالت: قالت لي

(٣٤) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ما جاء في سهم الصفي، برقم (٢٩٩٧) سنن أبي داود ١٦٨/٢.

(٣٥) أخرجه النسائي في باب التزويج على العتق، برقم (٣٣٤٣) سنن النسائي ١١٤/٦.

وصححه الألباني.

(٣٦) أخرجه النسائي في كتاب النكاح.. باب البناء في السفر برقم (٣٣٨٢)، سنن النسائي ١٣٤/٦.

(٣٧) ينظر: فتح الباري ٢/٢٩٤٦.

(٣٨) فتح الباري ٣/٢٩٤٦.

حفصة: إني بنت يهودي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك))؟ ثم قال: ((اتقي الله يا حفصة))^(٣٩).

وفي حديث كنانة مولاها وابن أخيها قال: حدثتنا صفية بنت حيي قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام فذكرت ذلك له فقال: ((ألا قلت فكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وأبي هارون، وعمي موسى))؟ وكان الذي بلغها أقبح قالوا: نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منها. وقالوا نحن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبنات عمه^(٤٠).

ومن فضائلها أيضاً ما أخرجه ابن سعد أنه لما صار إلى منزل على ستة أميال من خير مال يريد أن يعرس بها فأبى عليه فوجد في نفسه فلما كان بالصهباء وهي على بريد من خير نزل بها هناك فمشطتها أم سليم وعطرها، قالت: أم سنان الأسلمية وكانت من أضوأ ما يكون من النساء فدخل على أهله فلما أصبح سألتها عما قال لها فقالت: قال لي ما حملك على الامتناع من التزول أولاً؟ فقلت: خشيت عليك من قرب اليهود. فزادها ذلك عنده^(٤١).

ومن فضائلها ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم حج بنسائه: فلما كان في بعض الطريق نزل رجل فساق بهن فأسرع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كذاك سوقك بالقوارير، يعني النساء فبينما هم يسرون برك بصفية بنت حيي جملها، وكانت من أحسنهن ظهراً، فبكت، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخير بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاءً، وهو ينهها، فلما أكثرت زبرها وانتهرها، وأمر الناس بالتزول فزلوا، ولم يكن يريد أن يزل، قالت: فزلوا وكان يومي، فلما نزلوا ضرب خباء النبي صلى الله عليه وسلم ودخل فيه، قالت فلم أدر علام أهجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخشيت أن يكون في نفسه شيء مني، فانطلقت إلى عائشة، فقلت لها: تعلمين أي لم أكن أبيع يومي من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء أبداً، وأني قد وهبت يومي لك على أن ترضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عني، قالت: نعم. قال فأخذت عائشة حماراً لها قد ثردته بزعران فرشته بالماء ليذكي ريحه، ثم لبست ثيابها، ثم انطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعت طرف الحياء فقال لها

(٣٩) أخرجه الترمذي في الفضائل، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٣٨٩٤) وقال حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني، (سنن الترمذي ٧٠٩/٥، وينظر: صحيح الترمذي ٢٤٤/٣).

(٤٠) أخرجه الترمذي في الفضائل، باب فضائل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٣٨٩٢)، قال وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي وليس إسناده بذلك القوي

قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد. (سنن الترمذي ٧٠٨/٥).

(٤١) ينظر: الإصابة لابن حجر ٣٣٨/٤.

مالك يا عائشة؟ إن هذا ليس بيومك. قالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فقال مع أهله فلما كان عند الرواح قال لزَيْنَب بنت جحش: يا زَيْنَب أفقري أختك صفية جهلا، وكانت من أكثرهن ظهرا، فقالت: أنا أفقر يهوديتك. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منها، فهجرها فلم يكلمها حتى قدم مكة وأيام منى في سفره، حتى رجع إلى المدينة المحرم وصفر، فلم يأتها ولم يقسم لها، وينست منه، فلما كان شهر ربيع الأول دخل عليها، فرأت ظله فقالت: إن هذا لظل رجل وما يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فمن هذا؟ فدخل النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآته قالت: يا رسول الله ما أدري ما أصنع حين دخلت علي. قالت: وكانت لها جارية، وكانت تحبها من النبي صلى الله عليه وسلم. فقالت: فلانة لك، فمضى النبي صلى الله عليه وسلم إلى سرير زَيْنَب وكان قد رفع، فوضعه بيده، ثم أصاب أهله ورضى عنهم^(٤٢).

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة تدل على فضيلة صفية ومكانتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفضائل غيرها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن، فمن فضائل صفية ما يلي:

١- مكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم وحبه إياها، حيث أنه لما سمع بما حدث لها بادر إليها وجعل يمسح دموعها وهي تبكي ويصبرها.

٢- حب صفية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث تلتمس رضاه دائما، ولا تريد ما يغضبه، واستفيد ذلك من تصرفاتها لما فهمت أنها أغضبت، أهدت يومها لأحب نسائه إليه؛ عائشة رضي الله عنها وأرضاها، حتى ترضي النبي صلى الله عليه وسلم مما صدر منها.

٣- ومن فضائلها وشرف مكانتها عند النبي صلى الله عليه وسلم، عتابه لزَيْنَب رضي الله عنها عندما لمزت صفية، وعيرتها بقولها: (أفقر يهوديتك)، فهجرها أشهر من أجل ذلك حتى ينست منه.

ومن فوائد هذا الحديث، ١٠ جاء في فضل عائشة رضي الله عنها، حيث فهمت صفية مكانة عائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم، حتى وهبت لها يومها علاوة على إرضاء النبي صلى الله عليه وسلم.

فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وقد ضرب لها مثلا في حبه لها حيث قال: ((فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))^(٤٣).

(٤٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٣٧/٦-٣٣٨، وأخرجه ابن سعد أيضا في الطبقات ١٢٦/٨-١٢٧.

(٤٣) أخرجه البخاري في الفضائل باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (٣٥٥٨) صحيح البخاري ١٣٧٤/٣، ومسلم في

ومن فوائده ما جاء في فضل زينب رضي الله عنها، وأنها لما عاردها النبي صلى الله عليه وسلم، وهبت له جارية كانت تحبها من النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن فوائده أيضا رفيق النبي صلى الله عليه وسلم وحسن تعامله مع عياله.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))^(٤٤).

ومما يدل على فضل صفية ومكانتها ما جاء عن زيد بن أسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في وجهه الذي توفي فيه، قالت صفية بنت حيي: والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي. فغمزها أزواجه؛ فأبصرهن. فقال: ((مضمضن)). قلن: من أي شيء؟ قال: ((من تغامزكن بها، والله إنما لصادقة))^(٤٥).

انظر إلى الموقف المشرف الذي ينبغي أن يتعلم منه نساؤنا اليوم، بل وكل المسلمين، رضي الله عن صفية وأرضاه.

ومن فضائلها التي يذكر لها رضي الله عنها موقفها من عثمان رضي الله عنه وأرضاه الخليفة الراشد أيام الفتنة، حيث كانت ترد عنه، جاء عن كنانة أنه قال: كنت أقود بصفية لترد عن عثمان، فلقيها الأشر، فضرب وجهه بغلتها حتى مالت، فقالت: ذروني، لا يفضحني هذا! ثم وضعت خشبا من منزلها إلى منزل عثمان، تنقل عليه الماء والطعام^(٤٦).

الفضائل، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (٢٤٤٦) صحيح مسلم ١٨٩٥/٤.

^(٤٤) أخرجه الترمذي في الفضائل، باب فضائل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٣٨٩٥) سنن الترمذي ٧٠٩/٥. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث الثوري ما أقل من رواه عن الثوري، وروي عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل.

وصحيحه الألباني.

^(٤٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢٨/٨، قال شعيب الأرنؤوط: لكنه مرسل.

(ينظر: سير أعلام النبلاء ٢/٢٣٥، حاشية رقم ٢).

^(٤٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢٨/٨، ورجاله لقات.

الفوائد الفقهية المستفادة من قصة صفية رضي الله عنها:

وفي قصة صفية مسائل فقهية استفيد منها، ونذكر في بحثنا هذا بعضا منها، فمنها:

١- الصفّي:

الصفّي في اللغة: من صفا يصفو صفوة وصفيا، وجمعه أصفياء وصفايا، والصفّي من كل شيء صفوه، الصفّي الحبيب، وخالص الشيء^(٤٧)
واصطلاحا: هو شيء يصطفيه النبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة قبل أن تخمس عبدا، أو جارية، أو فرسا، أو سيفاً أو غيرها^(٤٨).
وقد ورد تفسير الصفّي فيما رواه الشعبي قال: ((كان للنبي (ص) سهم يدعى الصفّي إن شاء عبدا وإن شاء أمة وإن شاء فرسا يختاره قبل الخمس))^(٤٩).
وقد روي عن عائشة قالت: كَانَتْ صَفِيَّةً مِنَ الصَّفِيِّ^(٥٠).
أي أن النبي صلى الله عليه وسلم اصطفاه من غنائم خيبر قبل أن تقسم.
وقد تقدم اختلاف الرواية في أمر صفية هل صارت لدحية ثم صارت للنبي صلى الله عليه وسلم، وهل النبي صلى الله عليه وسلم اشتراها من دحية أو أخذها منه ثم عوضه بغيرها.
والذي يهمننا هنا حديث عائشة أن صفية كانت من الصفّي.
وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أنه قيل: إن صفية كان اسمها قبل أن تسمى زينب، فلما صارت من الصفّي سميت صفية^(٥١).

٢- جعل العتق صداقا:

الصداق: وهو العوض المسمى في عقد النكاح وما قام مقامه وله ثمانية أسماء الصداق والمهر والنحلة والفريضة والأجر والعقر والحياء والعتاق^(٥٢).

(٤٧) ينظر: لسان العرب ٤٦٢/١٤، والمصباح المنير ٣٤٤/١، والمعجم الوسيط ٥١٨/١.

(٤٨) ينظر: التمهيد لابن عبد البر ٤٣/٢٠، وشرح ١٣٧/١١.

(٤٩) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب ما جاء في سهم الصفّي برقم (٢٩٩١)، سنن أبي داود ١٦٨/٢.

وصحفه الألباني.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٠٤/٦.

(٥٠) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ما جاء في سهم الصفّي برقم (٢٩٩٦) سنن أبي داود ١١٢/٣.

وصححه الألباني.

(٥١) فتح الباري ٢٩٥٣/٣.

(٥٢) المطلع ص (٣٢٦).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بإعطاء النساء صدقاتهن في قوله: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً...) (٥٣).

ووصفه الله تعالى بالفريضة في قوله: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً.....) (٥٤).

وهو حق للمرأة تنصرف فيه كيف شاءت، ويكون معجلاً ومؤجلاً. ويجوز أن يكون عينا كالذهب والفضة وغيرهما، ومنفعة كالإجارة وغيرها.

وقد استببط العلماء جواز كون المهر إجارة من قوله تعالى في قصة موسى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حُجْجَ....) (٥٥).

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم مهر أحد أصحابه تعليم القرآن، كما ورد في حديث الواهبة حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((قد زوجتكها بما معك من القرآن)) (٥٦).

وهو ركن من أركان النكاح، وقد أصدق النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه، فعن أبي سلمة قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ صَدَاقِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَتْ ثِنْتَا عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً وَتَش. فَقُلْتُ وَمَا تَشٌ قَالَتْ نِصْفُ أَوْقِيَّةٍ (٥٧).

فمن الأحكام الفقهية الموجودة في قصة صفية زواج جعل العتق صداقاً، فقد أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عتقها صدقها كما جاء في الحديث: «سَيِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَفِيَّةٌ. فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا. فَقَالَ ثَابِتُ لَأَنْسَ: مَا أَصْدَقُهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا فَأَعْتَقَهَا» (٥٨).

٣- الاستبراء:

الاستبراء: لغة طلب البراءة (٥٩).

(٥٣) سورة النساء آية (٤).

(٥٤) سورة النساء آية (٢٤).

(٥٥) سورة القصص آية (٢٧).

(٥٦) أخرجه أبو داود في النكاح، باب في التزويج على العمل بعمل، حديث رقم (٢١١١) سنن أبي داود ٦٤٢/١. وصححه الألباني.

والترمذي في النكاح، باب ما جاء في مهور النساء برقم (١١١٤) سنن الترمذي ٤٢١/٣. وصححه الألباني.

(٥٧) أخرجه أبو داود في النكاح، باب الصداق، برقم (٢١٠٧) سنن أبي داود ١٩٨/٢. وصححه الألباني.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٣٣/٧، والحاكم في المستدرک برقم (٢٧٤٠)، ١٩٧/٢ كتاب النكاح. وقال هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٥٨) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر، برقم (٣٩٦٥) صحيح البخاري ١٥٣٩/٤.

(٥٩) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٢٦/١.

وشرعا التربص الواجب على كاملة الرق بسبب تجديد ملك أو زوال فراش مقدرا بأقل ما يدل على البراءة^(٦٠).

والمقصود من الاستبراء هو معرفة براءة الرحم من العلوق، حتى لا يسقي الرجل زرع غيره بمائه.

فلو اشترى شخص أمة ليطأها، فلا يجوز له مقاربتها حتى يستبرئها، وكذلك من اغتم جارية في الحرب وأراد أن يطأها يجب عليه استبرائها.

ومدة الاستبراء للذوات الحيض حيضة واحدة، وفي حق ذوات الأشهر شهر واحد^(٦١)؛ لما ثبت من حديث أبي سعيد الخدري يرفعه أنه قال: في سبايا أوطاس: " لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذوات حمل حتى تحيض حيضة "^(٦٢).

ويستفاد هذا الحكم أيضا من قصة أمانا صفية رضي عنها، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم استبرأها بحيضة واحدة؛ لأن سفر النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة خيبر لم يستغرق أكثر من شهرين فيما يظهر.

وفي قصة صفية ما يدل على وجوب استبراء الأمة قبل وطئها كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: «وقع في سَهْم دحية جارية جميلة. فاشتراها رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بسبعة أرؤس. ثم دفعها إلى أم سليم تُصنِّعها وتُهينها - قال حماد: وأحسبه قال: وتعتد في بيتها - وهي صفية بنت حُيَيٍّ»^(٦٣).

٤- مدة الإقامة عند الثيب إذا تزوجت:

وأما ما يتعلق بمدة إقامة الزوج عند زوجته الثانية بكرة كانت أو ثيبا، فقد حفظ لنا أنس رضي الله عنه سنة في ذلك.

فعن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال: إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا ولو قلت إنه رفعه لصدقت ولكنه قال السنة كذلك^(٦٤).

^(٦٠) التوقيف على مهمات التعريف ص (٥٤).

^(٦١) ينظر: فتحة الفقهاء ١١٢/٢، وتذيب المدونة ٤٤٦/١.

^(٦٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في وطء سبايا أوطاس، برقم (٢١٥٩) سنن أبي داود ٢/٢١٣. وصححه الألباني.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٤٩/٧.

^(٦٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ما جاء في سهم الصفي، برقم (٢٩٩٧) سنن أبي داود ٢/١٦٨.

^(٦٤) أخرجه أبو داود في النكاح، باب في المقام عند البكر برقم (٢١٢٦) سنن أبي داود ٢/٢٠٥. وصححه الألباني.

وأخرجه الترمذي في النكاح، باب القسمة للبكر والثيب، برقم (١١٣٩) سنن الترمذي ٣/٤٤٥.

قال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح وقد رفعه محمود بن إسحق عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس ولم يرفعه بعضهم قال والعمل على هذا عند بعض أهل العلم قالوا إذا تزوج الرجل امرأة بكرة على امرأته أقام عندها سبعا ثم قسم

فهذا الحكم ثبت بنوعين من السنة؛ السنة القولية، والسنة الفعلية؛ فقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم عند صفة ثلاثاً، وقد تزوجها وهي ثيباً.

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك: «أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أقام على صفة بنت حَيٍّ بطريق خير ثلاثة أيام. حتى أغرَسَ بها. وكانت فيمن صُربَ عليها الحجاب»^(٦٥). فثبتت هذه السنة قولاً، وعملاً.

٥ — حكم الحجاب للحرّة:

الحجاب لغة: الستر، ومنه حجاب الجوف وهو ما يحتجب بين الفؤاد وسائرهِ، وحجبه أي منعه عن الدخول، ويطلق على كل ما ستر المطلوب أو منع من الوصول إليه ومنه قيل للستر حجاب لمنعه المشاهدة وقيل للبواب حاجب لمنعه من الدخول وأصله جسم حائل بين جسدين ثم استعمل في المعاني فقليل العجز حجاب بين الرجل ومراده^(٦٦)

فحجاب المرأة: هو ما تستر به نفسها، وتنع به من أن يراها من ليس محرماً لها.

وقد ثبت حكم الحجاب بآيات كثيرة من القرآن العظيم، فأول آية نزلت في أمر الحجاب هي قوله عز وجل (وَعِظَا سَالَتُمُوهُن فَاسَالُوهُن مِّن وَّرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)^(٦٧)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهاى للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ } الآية^(٦٨).

بينهما بعد بالعدل وإذا تزوج الثيب على امرأته أقام عندها ثلاث وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحق وقال بعض أهل العلم من التابعين إذا تزوج البكر على امرأته أقام عندها ثلاثاً وإذا تزوج الثيب أقام عندها ليلتين والقول الأول أصح وصححه الألباني.

^(٦٥) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خير، برقم (٣٩٧٥) صحيح البخاري ١٥٤٣/٤.

^(٦٦) ينظر: الصحاح ١٢٢/٢، والمصباح المنير ١٢١/١، والتوقيف على مهمات التعاريف ص (٢٦٨).

^(٦٧) سورة الأحزاب آية (٥٣).

^(٦٨) أخرجه البخاري في التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، برقم (٤٥١٣) صحيح البخاري ١٧٩٩/٤.

ومن الأدلة على مشروعية الحجاب قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما.)^(٦٩).

فقد بين الله سبحانه وتعالى الحكمة من الحجاب في هذه الآية بقوله ذلك أدنى أن يعرفن ولا يؤذين.

ومنها: قوله تعالى في سورة النور: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن)^(٧٠).

والحجاب حكم خاص بالحرائر دون الإماء، وذلك للتفريق بينهما.

قال القرطبي رحمه الله مبينا هذا المعنى: "... أمر الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أوردن الخروج إلى حوائجهن، ... فيقع الفرق بينهن وبين الإماء فتعرف الحرائر يستترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزبا أو شابا^(٧١).

ويؤيد هذا التفريق قصة صفية رضي الله عنها وأرضاها، فإن الصحابة استدلوا بحجب النبي صلى الله عليه وسلم لها على أنها زوجة له حرة وليست بأمة كما جاء في حديث أنس الطويل وفيه:

((ووقعت في سهم دحية جارية جميلة. فاشترها رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- بسبعة أرؤس. ثم دفعها إلى أم سليم تُصَنِّعُها وتُهَيِّئُها. قال: وأحسبه قال: وتعتد في بيتها. وهي صفية بنت حيي. قال: فجعل رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- وليمتها التمر. والأقط. والسمن. فَحُصَّتْ^(٧٢) الأرض أفاحيص. وحيء بالأنطاع. فوضعت فيها. وحيء بالأقط والسمن. فشبع الناس. قال: وقال الناس: لا ندري: أتزوجها أم ولد؟ فقالوا: إن حَبَّجَها فهي امرأته. وإن لم يحَبَّجَها فهي أم ولد. فلما أراد أن يركب حَبَّجَها))^(٧٣).

^(٦٩) سورة الأحزاب آية (٥٩).

^(٧٠) سورة النور آية (٣١).

^(٧١) تفسير القرطبي ٢٤٣/١٤

^(٧٢) فَحُصَّتْ الأرض: كُشِفَتْ، وجعل فيها موضع، ومنه محفص القطاة. (جامع الأصول ٤١٩/١١).

^(٧٣) أخرجه مسلم في باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها، برقم (١٣٦٥، ١٤٢٨) صحيح مسلم ١٠٤٢/٢، ١٠٤٦.

٦- جواز وصية المسلم لقريبه غير المسلم:

الوصية لغة: من وصى يوصي وصية، ووصيت الشيء بالشيء "أوصيه" من باب وعد: وصلته، و"وصَّيتُ" إلى فلان "توصية"، و"أوصَّيتُ" و"أوصَّيتُ" إليه بما جعلته له^(٧٤).

قال ابن فارس: الواو والصاد والحرف المعتل: أصل يدل على وصل شيء بشيء. ووصَّيتُ الشيء: وصلته. ويقال: وطننا أرضاً واصمةً، أي إن كبتها متصل قد امتلأت منه. ووصَّيتُ الليلة باليوم: وصلتها، وذلك في عمل نعمله. والوصية من هذا القياس، كأنه كلام يوصى أي يوصل. يقال: وصَّيته توصيةً، وأوصَّيته إيصالاً^(٧٥).

والوصية اصطلاحاً: عقد يوجب حقاً في ثلث عاقده يلزم بموته أو نيابة عنه بعده^(٧٦).

وعرفها الغزالي: بأنها عبارة عن التبرع بجزء من المال مضاف إلى ما بعد الموت^(٧٧).

وقد ثبت مشروعية الوصية في كتاب الله تعالى في قوله: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المؤمنين).^(٧٨)

ولما كانت الوصية جائزة للوالدين والأقربين أعطى الله للورثة نصيبهم، واختصر جوازها على الأقرباء ممن ليس من أهل الميراث، فكان فرض الأنصاء للورثة ناسخاً لحكم الوصية في حقهم، وكما سيأتي ذلك قريباً من قول النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الأدلة على جواز الوصية ومشروعيتها قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)^(٧٩).

فأثبت الله حكم الوصية في هذه الآية بقوله: من بعد وصية يوصي بها أو دين.

ويجوز لـنسان أن يوصي بثلث ماله لمن يشاء من غير الورثة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد رضي الله عنه لما مرض سعد قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يهودي وأنا مريض بمكة فقلت: لي مال أوصي بمالي كله؟ قال (لا). قلت: فالشطر؟ قال: (لا). قلت: فالثلث؟ قال: (الثلث والثلث كثير أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم

^(٧٤) ينظر: المصباح المنير ٦٦٢/٢، والمصاحح ١٧٥/٤.

^(٧٥) معجم مقاييس اللغة ١٦/٦.

^(٧٦) ينظر: البهجة شرح النحلة ١١/٢.

^(٧٧) الوسيط للغزالي ٤٠١/٤.

^(٧٨) سورة البقرة آية (١٨٠).

^(٧٩) سورة النساء آية (١١).

ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها في امرأتك ولعل الله يرفعك ينتفع بك ناس ويضر بك آخرون^(٨٠).

ولا تصح لوارث لأن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الورثة حقهم، كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه . ألا لا وصية لوارث)^(٨١).

ومن قصة صفية رضي الله عنها استفدنا حكماً آخر في الوصية؛ ألا وهو جواز الوصية للقريب غير المسلم.

قال الإمام الذهبي رحمه الله — في ترجمته لأُم المؤمنين صفية رضي الله عنها: "وقد أوصت بثلاثها لأخ لها يهودي، وكان ثلاثين ألفاً"^(٨٢).

وهذا الذي ذكره الذهبي قد رواه ابن سعد في طبقاته عن الواقدي، ونصه: "ورثت صفية مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، فأوصت لابن أختها وهو يهودي بثلاثها"^(٨٣).

هذا وبالله التوفيق

الباحث:

الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الدخيل

(٨٠) أخرجه البخاري في الوصية باب الوصية بالثلث برقم (٢٥٩٣) صحيح البخاري ١٠٠٧/٣، ومسلم في الوصية باب

الوصية بالثلث برقم (١٦٢٨) صحيح مسلم ١٢٥٠/٣

(٨١) أخرجه ابن ماجه في الوصية باب لا وصية لوارث برقم (٢٧١٤) سنن ابن ماجه ٩٠٦/٢. وصححه الألباني.

(٨٢) سير أعلام النبلاء ٢/٢٣٨.

(٨٣) ينظر : طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٨

المراجع

اسم الكتب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع
القرآن الكريم		
صحيح البخاري	البخاري	شركة مصطفى الباني الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة عام ١٣٧٢هـ
فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	المطبعة السلفية، شارع الروضة
مختصر تفسير ابن كثير	الصابوني	دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة
فتح القدير	الشوكاني	دار المعرفة، بيروت
في ظلال القرآن	سيد قطب	دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة
تاريخ الأمم والملوك	الطبري	دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ
الطبقات الكبرى	ابن سعد	دار صادر، بيروت
السيرة النبوية	ابن هشام	دار الكنوز الأدبية
صفة الصفوة	جمال الدين بن الجوزي	دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية
الإصابة في تمييز الصحابة	شهاب الدين بن حجر	مطبعة السعادة، الطبعة الأولى
أعلام النساء	عمر رضا كحالة	المطبعة الهاشمية، دمشق، عام ١٣٧٧هـ
أصول السيرة لمحمديّة	عبد العزيز بن راشد النجدي	دار نشر الثقافة الإسكندرية
مختصر سيرة الرسول	شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب	مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، عام ١٣٧٥هـ
حياة الصحابة	الكاندهلوي	دار الباز، بيروت
مجموع فتاوى ابن تيمية	جمع عبد الرحمن النجدي	الطبعة الأولى، مكابح الرياض
مختصر سيرة الرسول ﷺ	عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	المطبعة السلفية، الروضة، القاهرة، عام ١٣٧٩هـ
الإجابة فيما استدركنه عائشة على الصحابة	بدر الدين الزركشي	المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٠هـ
السيدة عائشة	عبد الحميد طهماز	دار القلم، بيروت
نساء أنزل الله فيهن قرآنًا	عبد الرحمن عميرة	الطبعة الأولى، دار اللوا للنشر، عام ١٣٩٨هـ
نساء النبي	بنت الشاطئ	دار الكتاب العربي، بيروت، عام ١٣٩٩هـ
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعم بن عبد الله الأصبهاني	دار الكتاب العربي
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت

